



مركز الدراسات في الدكتوراه:
الآداب والعلوم الإنسانية والفنون
تكوين الدكتوراه:
الجغرافيا والتهيئة وتنمية المناطق
الهامشية

جامعة محمد الأول
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
وجدة

ملخص

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآداب

شعبة الجغرافيا

دينامية المراكز الحضرية ودورها في تنظيم المجال الريفي وآفاق التنمية الترابية بممر وجدة - تاويرت

تحت إشراف
الأستاذ الدكتور علال زروالي

إعداد الطالب
عبد الحفيظ حميمي
رقم التسجيل: 026014

لجنة المناقشة

- الأستاذ الدكتور عبد الحميد مزغاب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة (رئيسا)
- الأستاذ الدكتور عبد الواحد بوبرية، الكلية متعددة التخصصات، تازة (مقررا)
- الأستاذ الدكتور امحمد لزعر، كلية الآداب، ظهر المهراز، فاس (مقررا)
- الأستاذة الدكتورة جميلة السعيد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية (مقررة)
- الأستاذ الدكتور علال زروالي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة (مشرفا ومقررا)

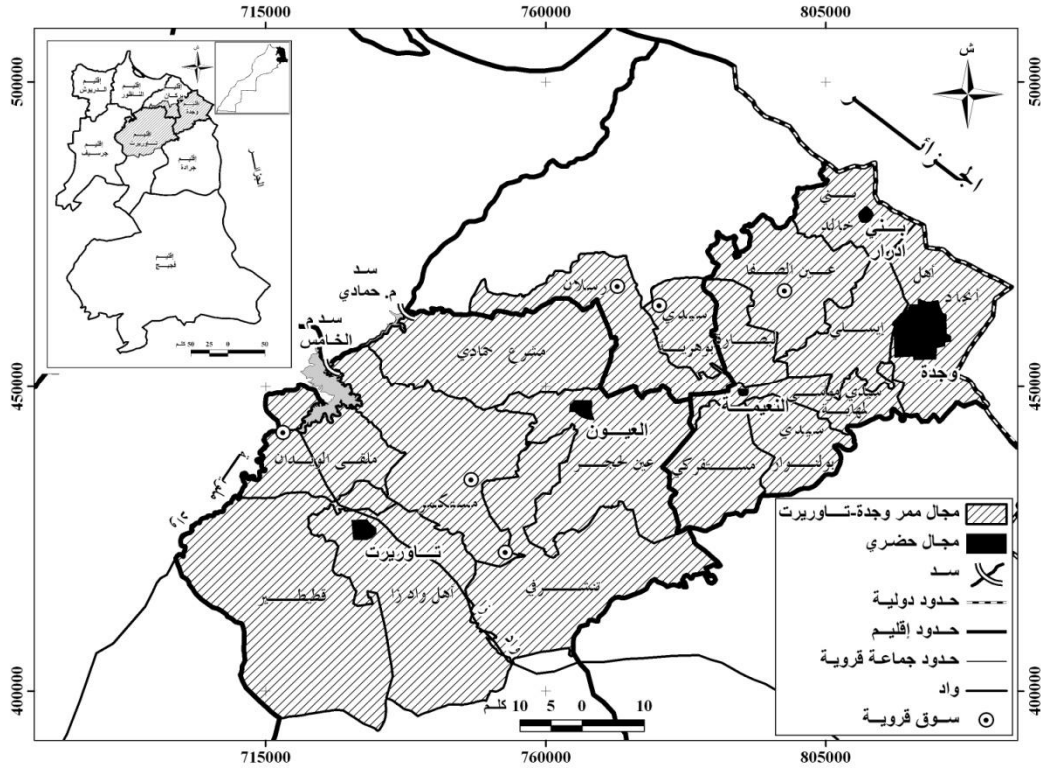
الموسم الجامعي: 2016-2017

تقديم

اهتم موضوع البحث بدراسة إشكالية دينامية المراكز الحضرية بممر وجدة- تاويريرت (جهة الشرق)، وتتبعها منذ فترة ما قبل الحماية إلى حدود السنوات الأخيرة على المستوى المجالي، وفي الميادين الاقتصادية والديموغرافية والخدمية، ودور هذه الدينامية الحضرية في تنظيم المجال الريفي. كما انفتح الموضوع كذلك على إمكانيات التنمية الترايبية التي أصبحت مطلبا وغاية منشودة من طرف الجميع.

يقع ممر وجدة-تاويريرت ما بين خطي عرض $34^{\circ}06'$ و $34^{\circ}56'$ شمالا، وخطي طول $1^{\circ}44'$ و $3^{\circ}13'$ غربا، يمتد بين سلسلة جبال بني يزناسن وبني محيو من الشمال، ومرتفعات عياط والزكاراة وتويسيت-سيدي بوبكر (الهوامش الشمالية للهضاب العليا) من الجنوب، وشرقا بسهل مغنية الجزائري الذي يعد امتدادا طبيعيا لسهل أنجاد المغربي، إلى حدود سهل جرسيف من الغرب، أو واد ملوية (شكل 1).

تتعاقب على طولها مجموعة من الوحدات التضاريسية المختلفة، كالجبال التي تحيط به من الشمال والجنوب كما ذكرنا، والسهول التي تمتد بوسطه وهي سهل أنجاد، وسهل لبصارة، وسهل النعيمة، وسهول العيون - تاويريرت، وسهل تقراطة. كما تتخلله نتوءات وتلال منعزلة وهضاب أقدام الجبال. تتميز خصائصه الهيدرولوجية بوجود مجاري مائية دائمة تتمثل في واد ملوية وواد زا...، ووديان جافة عديدة كواد إيسلي، وواد بورديم، وواد القصبوب، وواد الحصاص... والعديد من العيون بالإضافة إلى فرشة باطنية مستغلة بواسطة مئات الآبار والآثقاب، ويتميز مناخه بقلة التساقطات وعدم انتظامها واختلاف توزيعها، حيث تتلقى المرتفعات حوالي 400 ملم سنويا، وتتراوح بالمنخفضات بين 200 و 400 ملم. أما المدى الحراري فمرتفع، حيث تتجاوز الحرارة العليا القصوى 40° صيفا، وتنزل إلى ما دون الصفر بالمناطق الجبلية شتاء.



شكل 2. الحدود الإدارية لممر وجدة-تاوريرت

المصدر:

- Ministère de l'Habitat, de l'Urbanisme et de la Politique de la Ville. (2013) - Monographie Régionale sur le secteur de l'habitat, région de l'oriental. p7.

- إنجاز الباحث.

أهداف موضوع البحث

في ارتباط بإشكالية الموضوع، ارتأينا بهذا البحث تحقيق عدة أهداف منها:

- إبراز أهم تطورات ممر وجدة-تاوريرت الخاصة بمجاله الريفي، والتي ميزت حياة القبائل الاقتصادية والاجتماعية والمجالية منذ فترة ما قبل الحماية، وفي ظل تقسيمه إلى جماعات قروية، إضافة إلى البحث في مختلف الدينامية التي شهدتها مراكزه الحضرية في الميادين المجالية والسكانية والاقتصادية والتجهيزية؛
- تحليل مختلف العوامل المسؤولة عن هذه التطورات والدينامية، وتتبع دور كل منها عبر الفترات الزمنية المقترحة كإطار موضوع البحث؛

- تشخيص مختلف العلاقات الناتجة عن عمليات التأثير والتأثر المتبادلة بين المراكز الحضرية والأرياف بمرور وجدة-تاويرت، وتصنيف مختلف العوامل المنشطة لها؛
- رصد واقع تنظيم المجال الريفي التقليدي، وتحولاته الراهنة نتيجة لقوة تأثير وهيمنة المراكز الحضرية بالمرور، ومحاولة وضع تراتبية لأدوار أصنافها في هذا التنظيم؛
- دراسة إمكانيات تحقيق التنمية الترابية بالمرور، وطرح بعض الاقتراحات بدورنا كباحثين ومهتمين في أفق تحقيق ذلك.

إشكالية موضوع البحث

انطلاقاً من عناصر ومتغيرات الموضوع الثلاثة، توخينا إثارة إشكالية جوانب العلاقة، أولاً بين دينامية المراكز الحضرية وتنظيم المجال الريفي، ذلك أن تحولات كل من المجالين ومستوى نمو كل منهما منذ مطلع القرن الماضي أثرت على أدوارهما وتحكمهما في تنظيم المجال، نتيجة لتضافر عدة عوامل داخلية وخارجية. ثانياً فقد أثارتنا علاقة استمرار المجال الحضري والريفي في امتلاك جوانب تكامل، وجوانب خاصة (مؤهلات مختلفة...)، بآفاق تحقيق التنمية الترابية، بمعنى إذا كان المجال الحضري قد أصبح متفوقاً بكتلته البشرية وتجهيزاته وقوته الاقتصادية والخدمية... فإن المجال الريفي لا زالت له القدرة على النمو والتطور إلى الأحسن.

ارتباطاً بهذه العناصر، قمنا بتحديد إشكالية محورية لموضوع البحث تتمثل فيما إذا كانت لدينامية المراكز الحضرية دور وآثار على تنظيم المجال الريفي بمرور وجدة-تاويرت، وآفاق تحقيق التنمية الترابية بالمجالين بشكل مستقل أم بشكل متكامل.

منهجية موضوع البحث وأدواته

- مناهج موضوع البحث

استلزم منا موضوع البحث تطبيق عدة مناهج تتماشى وطبيعة الموضوع وعناصر إشكاليته تتمثل في:

* المنهج التاريخي

بغية تتبع مختلف التطورات الريفية والحضرية بمرور وجة-تاوريرت، واستجلاء جوانبها، وإبراز مختلف الأحداث التاريخية التي كان لها الأثر في ذلك، وكذا فهم واقعها الحالي، كان لزاما علينا تطبيق المنهج التاريخي الذي يعتبر من أهم أساسيات الجغرافيا، وهو ما سيفيدنا في الكشف عن ماضي المجتمع الريفي وفهم قضاياها، وتتبع دراسة محور نمو وتطور المراكز الحضرية. كما سيتيح لنا إمكانية المقارنة بين التطورين الخاصين بالمجالين الريفي والحضري، والتوزيع الحالي للسكان بالممر، وأشكال استغلال المجال وانقلاب الأدوار بين الأرياف والمدن، ما هي إلا نتيجة تطور بشري حدث خلال الفترات السابقة؛

* المنهج الوصفي

تعتبر عملية الوصف من أقدم ركائز البحث الجغرافي، وأكثرها تطورا، بحيث لا يمكن إجراء أي تحليل للظاهرة موضوع البحث دون المرور برصدها وتشخيصها وإبراز مظاهرها كما ونوعا وتوزيعا، في حالتنا اعتمدنا هذا المنهج لتقديم مختلف العناصر المرتبطة بالتطورات الكمية التي شهدتها أوضاع الممر الاقتصادية والسكانية والمجالية، وتوزيعاتها المختلفة خلال الفترات التاريخية المحددة سابقا لموضوع البحث، وإبراز العلاقات التفاعلية الحضرية-الريفية وتصنيفها إلى علاقات اجتماعية، وأخرى اقتصادية، وعلاقات خدمية، من خلال مختلف الإحصائيات والنتائج التي قمنا بجمعها حول الموضوع. بالإضافة إلى وصف أشكال تنظيم المجال بالممر، وعرض إمكانات ومؤهلات الممر في أفق تحقيق التنمية الترابية؛

* المنهج التحليلي

يعرف في البحث الجغرافي بمنهجية التفسير، ذلك أن كل النتائج التي يتوصل إليها الباحث بتطبيق منهجية الوصف حول الظاهرة من توطين أو تطور أو

توزيع لابد أن تكون لها عوامل وأسباب، وتتحدد بدرجة التفاعل بين الظواهر التي يمكن تصنيفها إلى ظواهر طبيعية-طبيعية، وظواهر بشرية-بشرية، وظواهر طبيعية-بشرية. في الموضوع الذي يتناوله هذا البحث سنقف عند كل من العوامل الطبيعية كالجفاف، والعوامل البشرية كدور الاستعمار والنمو الديموغرافي والهجرة... المسؤولة سواء عن نمو وتطور المراكز الحضرية، أو عن تنشيط وتصنيف العلاقات الحضرية-الريفية، كما سنعمل على معالجة ظاهرة تنظيم المجال الناتجة عن مختلف هذه العلاقات، بالتركيز على مفاهيم النفوذ والاستقطاب والإشعاع، وهي ما يتعلق حسب موضوعنا بحالة الجماعات القروية في الميادين الإدارية والصحية والتعليمية والتجارية، وحالة الأسواق الأسبوعية القروية، وحالة المدن (وجدة كمدينة كبيرة، وتاوريرت كمدينة متوسطة، والعيون وبني درار والنعيمة كمدن صغرى)؛

* المنهج الإحصائي

بالرغم من استمرار الاختلاف بين الباحثين حول ما إذا كانت العمليات الإحصائية منهجا أم وسيلة فقط تساعد على الوصف، فبالإضافة إلى كل هذا يعتبر حاليا المنهج الإحصائي أو الفكر الإحصائي من أساسيات البحوث الإنسانية، بحيث لا يكفي التوفر على الأرقام والإحصائيات أو التقنيات المعلوماتية، بل لا بد من استحضار الطرائق والأساليب المناسبة لمعالجة وتحليل هذه المعطيات، وهذه بدورها تستدعي عملا فكريا. كما ذهب البعض إلى تصنيف جزء من العمليات الإحصائية إلى ما يسمى التحليل الاستقرائي أو الاستدلالي...

- أدوات وتقنيات موضوع البحث

تعرف بكل بساطة بالوسائل والطرائق التي يجمع بها الباحث مختلف المعطيات اللازمة لحل إشكالية بحثه، وقد أضيفت إليها حاليا مختلف التقنيات المعلوماتية الحديثة سواء فيما يخص عمليات الجمع أو معالجة هذه المعطيات. وعليه فقد اعتمدنا في هذا الجزء من البحث على طريقتين أساسيتين، الأولى همت طرائق جمع المعلومات والمعطيات، والثانية خاصة بتقنيات معالجتها، كما يلي:

* المراجع الكتابية والإلكترونية

منذ بداية إنجاز هذا البحث اعتمدنا وكباقي البحوث على جمع ما يمكن من المراجع الخاصة بموضوع البحث، سواء تلك التي أنجزت حول المجال الذي ينتمي إليه ممر وجدة-تاويريرت كالبحوث والدراسات التي تناولت مجال الجهة الشرقية، أو شمال شرق المغرب، أو أجزاء من الممر، أو تلك التي عالجت مواضيع نمو المدن أو العلاقات الحضرية-الريفية أو تنظيم المجال، وموضوع التنمية سواء بالمغرب أو خارجه. وقد انقسمت هذه المراجع ما بين الكتابية المتوفرة في المكتبات، أو الإلكترونية المتاحة على شبكة الإنترنت، من كتب، ودراسات، وبحوث، وتقارير، ومقالات، وخرائط، وإحصائيات (يمكن مراجعة لائحة المراجع)؛

* العمليات الميدانية

لم يكن من الممكن توفير المعلومات اللازمة للإجابة على كل إشكاليات موضوع البحث من خلال المراجع فقط، ونظرا للارتباط الوثيق بين الجغرافيا والميدان، فقد اعتمدنا على إنجاز ما يسمى الاستمارة أو الاستبيان. نظرا لصعوبة تطبيق المسح الشامل بسبب كبر حجم مجتمع البحث، وكما هو معمول به لدى أغلب الباحثين، قمنا بالاعتماد على تقنية العينة. تنقسم العينة بصفة عامة إلى:

- العينة العشوائية/الاحتمالية، والتي تضم العينة العشوائية البسيطة، والعينة العشوائية الطبقية، والعينة العشوائية المنتظمة؛

- العينة غير العشوائية/غير الاحتمالية، والتي تضم بدورها العينة غير العشوائية العرضية، والعينة غير العشوائية الطبقية، والعينة غير العشوائية الغرضية.

نظرا لطبيعة موضوع هذا البحث فقد ضم المجتمع الإحصائي الذي وقع عليه الاختيار فئتين أساسيتين هما أرباب الأسر بالدواوير القروية، والتجار بالأسواق القروية الأسبوعية، وسوقي النعيمة وبني درار الحضريتين. على اعتبار تجانس عناصر المجتمع الخاص بالفئة الأولى فقد اخترنا تطبيق العينة العشوائية البسيطة، أما انقسام المجتمع الإحصائي موضوع الفئة الثانية إلى طبقات (تجار الخضر والفواكه، وتجار الألبسة، وتجار المواشي...)، ورغبة منا في منح جميع عناصر المجتمع نفس

الفرصة في الظهور، فقد اخترنا تطبيق العينة العشوائية الطبقيّة، بحيث يتناسب عدد مفردات كل طبقة بحجم العينة.

استطعنا استجواب 886 رب أسرة موزعين على 322 دوار، و282 تاجر بالأسواق القروية المتبقية بالممر وسوقي بني درار والنعيمة الحضريتين. أما التقنية التي قمنا باعتمادها فهي تقنية المقابلة أو الاتصال المباشر التي تمت مع هؤلاء بين يونيو وغشت 2014.

* المعالجة الآلية للمعطيات

أصبح اليوم الاعتماد على العمليات الحاسوبية ركيزة أساسية في البحث الجغرافي، لا من حيث الجوانب النظرية أو التطبيقية. وفي ارتباط بموضوع البحث فقد انقسمت معطياته إلى مختلف الإحصائيات ونتائج الاستمارة، ومعطيات ذات طبيعة كرطوغرافية، وعليه فقد استخدمنا في معالجتها التقنيات والأدوات التالية:

- الأساليب الإحصائية الكمية (أساليب الجداول العادية، والجداول التكرارية، والجداول المتقاطعة، وأساليب الرسوم البيانية، وأساليب التحليل الإحصائي...)، وقد اعتمدنا على تطبيق تقنيات برنامج SPSS الذي يشكل قاعدة البيانات الأساسية لهذا الموضوع بعد تفرغ مختلف الإحصائيات والنتائج؛

- تقنيات نظم المعلومات الجغرافية، التي أصبحت تشكل ميزة البحوث الجغرافية الحديثة سواء البشرية منها أو الطبيعية، حيث سترافقنا خلال جميع محاور البحث إما كتوزيعات نوعية للظواهر، أو استخدام أدوات التحليل الموضوعاتي الكمية كإدماج الإحصائيات، وأدوات التحليل المجالي. وقد استطعنا منذ بداية إنجاز هذا البحث إنشاء قاعدة بيانات تضم العشرات من الطبقات أو الصفوف "Shapefile" المساحية والخطية والنقطية، وإدماج العديد من المعطيات كتلك المتعلقة بنتائج الاستمارة (تيارات واتجاهات السلع والبضائع المرتبطة بالأسواق القروية الأسبوعية) واتجاهات الهجرة القروية... بالاعتماد على خدمات برنامج ArcGis.

التقسيمات الكبرى للبحث

أملت علينا عملية معالجة إشكالية موضوع البحث وضع تصميم من ثلاثة أقسام، محاولين فصل جوانب البحث بغية التحكم فيها وحسن تنظيمها، ومنحنا قدرة أكبر للإحاطة بكل جوانبها.

خصص القسم الأول لمعالجة إشكالية تطورات أوضاع ممر وجدة-تاوريرت بمجاله الريفي، وذلك بتتبعها منذ فترة ما قبل الحماية إلى حدود سنوات إنجاز هذا البحث، ومقارنتها بما حدث بمراكزه الحضرية من نمو وتوسع، وكذا مختلف العوامل التي نشطت هذه التطورات والتفاعلات سواء كانت طبيعية أو بشرية.

تناولنا في القسم الثاني مختلف العلاقات الريفية-الحضرية، كالعلاقات السكانية التي تعتبر أهمها وأقدمها، ذلك أن نمو المدن لم يكن ليتم من خلال تزايد ساكنتها الطبيعية فقط، وإنما راجع بشكل كبير إلى الهجرة القروية القوية التي شهدتها الممر منذ فترة الحماية والتي لا تزال متواصلة إلى يومنا هذا، والعلاقات الاقتصادية والخدمية. كما عملنا على معالجة أصناف العوامل المفسرة لذلك، والتي غالبا ما تطبق فيها نظرية الجذب والطرْد.

وقد خصصنا القسم الثالث لتحليل ظاهرة تنظيم المجال الريفي من خلال تقسيمه إلى مرحلة التنظيم التقليدي الذي ظلت تتحكم فيه القبائل، والتنظيم الحالي الذي أصبح يخضع في جوانب عدة منه لدور المراكز الحضرية في إحداثه وتشخيص واقعه، محاولين تسليط الضوء على تراتبية هذا الدور انطلاقا من دور الأسواق القروية الأسبوعية التي أصبح رواجها يخضع في كثير من جوانبه لما تزودها بها المراكز الحضرية من مواد وسلع. ودور الجماعات القروية في بسط نوع من النفوذ المحلي الضيق على دواويرها في بعض الخدمات وخاصة الإدارية والتعليمية والصحية المحدودة، وكذا أدوار النعيمة وبني درار والعيون كمدن صغرى في رسم نفوذ خاص حسب إمكانياتها ومؤهلاتها، ودور مدينة تاوريرت المتوسطة ذات النفوذ الإقليمي، ودور مدينة وجدة الكبرى، القطب المهيمن ليس فقط على ممر وجدة-تاوريرت وإنما بجهة الشرق ككل رغم بعض المنافسة من قبل مدينتي الناظور وبركان. كما ضمنا هذا

القسم، البحث في إشكالية التنمية الترايبية التي أصبحت من الرهانات المطروحة حالياً لتجاوز صعوبات النمو الاقتصادي والتأهيل البشري وتثمين الموارد المحلية.

النتائج العامة لموضوع البحث

توصل البحث إلى أن أوضاع الممر بعد مرور أكثر من قرن، وفي ظل تضافر عدة عوامل قد شهد تحولات حتمية في أدوار كل من المجالين الريفي والحضري. ففي الوقت الذي كانت فيه الأرياف متحكمة في التنظيم الترايبى بممر وجدة - تاوريرت بسبب قوة القبائل به، كانت المراكز الحضرية في طريق النشأة والتطور. نظراً لتدخلات سلطات الحماية والنظام المغربي خلال الاستقلال تقوت مكانة المراكز الحضرية وأصبحت تهيمن على العلاقات التجارية والخدمية والوظيفية، وبالتالي على تنظيم المجال مكانياً ووظيفياً بالممر.

من النتائج الأخرى التي توصل إليها البحث في هذا الموضوع، إمكانيات تحقيق التنمية الترايبية، حيث تتجلى في مؤهلات الجماعات الترايبية الطبيعية إذا ما أحسن تميمها، والمؤهلات البشرية التي تتطلب تأهيلاً وتحسيناً لظروف عيشها. ليبقى الممر مفتوحاً على تحولات سريعة تستدعي مزيداً من البحث والدراسة.

نتمنى أن نكون موفقين في اختيار موضوع البحث وطرائق معالجته، خدمة للعلم

وللصالح العام.